الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية وتأثيرها على إنتاج المؤسسات الانتخابية

أ . عبداللاوي عمر جامعة الجلفة
أ . ضبع مريم جامعة الجلفة

ملخص :

تمثل الممارسات الاجتماعية الثقافية شكل من أشكال التنشئة الاجتماعية، إذ يتلقى الفرد نماذج من السلوك يقلدها ويحاكيها ليتمكن من التكيف مع المحيط الاجتماعي ومجتمعنا بمحافظته على نمط المعيشة التي اعتادها السلف وبتمسكه ببعض عاداته وتقاليده وأعرافه، فهو يعيد إنتاج المجتمع التقليدي القبلي، ويعيش أفراده حاليا ازدواجية (المواطنة والعرشية)، فنظريا نجد على مستوى وسائل الإعلام ومؤسسات التربية والخطاب الرسمي يتم تداول كثير من مصطلحات المواطنة ومن أمثلتها المجتمع المدني والحرية الفردية والوطنية والديمقراطية والعدالة والشفافية وتكافؤ الفرص في الميادين المختلفة، لكن الواقع في بعض المناطق يعكس استمرار الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية ويكشف أن بعض الفئات والأفراد مازالوا يتعاملون بأدوات وأفكار مرتبطة بالحياة القبلية ومنها التعصب القرابي والقبلي والمناطقي والتعامل بمعاييرها وما ينجر عن ذلك من تكتل وصراع وإقصاء، قد يؤدي إلى تفكك اجتماعي وفقدان للعمومية والوطنية، كما أنّ ظاهرة العرشية تعدّت العلاقات الاجتماعية إلى اختراق المنظومة السياسية والتاثير في الانتخابات المحلية فعوض أن تخضع عملية التنافس في الانتخابات المحلية لمعايير الكفاءة والبرامج السياسية الناجعة، أصبحت تخضع لمنطق العرشية، ففي بحثنا هذا حاولنا إبراز الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية ودورها كأداة للتنشئة الاجتماعية في ترسيخ العرشية واستمرارها في مجتمعنا، وإبراز تأثير العرشية في مسارات العملية الانتخابية التي تمثل إحدى ركائز بناء المجتمع المدني.

مقدمة:

إنّ الشروع في دراسة موضوع الممارسات العرشية (القبليّة) في مجتمع ما يدعونا أولا إلى تحديد مفهومها والمفاهيم المرتبطة بها لإرشاد القارئ وتوجيه فكره نحو موضوع الدراسة دون إحداث لبس أو خلط، فمصطلح العرشية يعني نزعة الانتماء للعرش أو القبيلة على حساب الانتماء للوطن والأمة، فعلى عكس المجتمعات الغربية التي تسعى للإتحاد وتوسيع حيز الانتماء وتجسده في شكل هيئات عالمية كالاتحاد الأوروبي مثلا، نجد

فئات من مجتمعنا تسعى للتقلص والتقوقع بإحياء الانتماءات الأولية (العشيرة – القبيلة) وتتعامل على أساس هذه الانتماءات في الفضاءات المختلفة من خلال الممارسات اليومية.

إن النظر لما آلت إليه المجتمعات العربية كالعراق وليبيا واليمن بعد عقد من دخول القرن الواحد والعشرين من سقوط لمؤسسات الدولة وتفشي الفوضى بسبب الثورات والحروب بين المجموعات المتطاحنة ذات انتماءات تعصبية قبلية اثنية ومذهبية طائفية متعددة هدمت كل ما تم بناؤه وتحقيقه خلال الحركية التاريخية لهذه المجتمعات، هذا الوضع إنما ينمّ عن وجود أزمة معقدة ذات بعد سوسيو ثقافي، وكل ما تم تحقيقه من تنمية وأمن ووحدة كان سطحيا، فقد تكون تنشئة الأفراد على الإقصاء والتهميش والإكراه والقهر الاجتماعي وعدم المشاركة الحقيقية هي التي أفضت إلى تفكك عضوي داخلي لجسد الأمّة والدولة الوطنية وأدت إلى زوال لحمتها وظهور الوحدات الأوّلية للمجتمع أي العشيرة والقبيلة والطائفة حيث دخلت في التنافس والمواجهة والصراع ثم الدخول في تحالفات وحروب أذكتها المصالح الخارجية للقوى الإقليمية، فأدخلت المجتمعات العربية في دوامة من العنف والقتل والتشريد والانقسامية حالت دون إعادة تشكيل مؤسسات الدولة وبناءها من جديد.

إنّ العصبية القبلية(العرشية) تعدّ من أهم عناصر الصراع في المجتمع ولها الدور المهم في نشأت الدول وسقوطها فهي تمثل "**سندان وقوام الحياة السياسية لجل الدول العربية بها تقوم السلطة تنحل متى اهتزت توازنات النظام الاجتماعي والسياسي العصبوي، وتتزود من طاقتها الاجتماعية حركية الصراع السياسي الداخلية وتنطبع بها، على النحو الذي تتحول معه العصبيات إلى بنى ومؤسسات مباشرة في حالات، أو إلى مصدر توليد وإفرازات المنظمات والأحزاب الممثلة لعصبياتها في حالات أخرى حتى التمثيل المؤسسي نفسه يخضع لهذا التكوين، تنشأ البرلمانات وأشباه البرلمانات ومجالس الشورى ومجالس الأعيان من معين ذلك النظام العصبوي وتفصل على مقاسه**"[1] والتعصّب القبلي يشتد ويقوى وتظهر العرشية في الممارسات والقرارات عندما يمر المجتمع بأزمات وخاصة منها السياسية، ويعبر عن ذلك الكاتب اليمني مطاع الصفدي في تحليله للصراع السياسي في عدن سنة 1986 بقوله: "**إذا بالصراعات الايديولوجية تنزاح في لمحة عين لتحل محلها كل بدائية الشعائر القبلية ... أي يبرز إلى الوجود ذلك النموذج التاريخي، وهو أرومة العصبية القرابية والدموية ليحكم ويحطم كل الانتماءات الايديولوجية المستحدثة والملصقة على جبين الإنسان وجسده من الخارج فقط**"[2] فالقبيلة(العرش) والقبليّة(العروشية) في المجتمعات العربية لم تقضي عليها عوامل التغيير المذكورة سالفا بل أعيد بعثها من جديد، وهو ما أكده الباحث محمد نجيب بوطالب في قوله: " **لم تستطع إجراءات**[3] **التغيير أن تلغي البنية القبلية وتفككها في كل المستويات وفي جميع الدول، خصوصا في المستويين الثقافي والنفسي**"[4] ولعل المجتمع الجزائري بخصائصه الاجتماعية والجغرافية لم يخرج عن دائرة

---

[1]– أنظر محمد بن يوب،القبيلة والدولة في الجزائر من الغزو الاستعماري إلى عهد الدولة الوطنية، أطروحة دكتوراه دولة في الانثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، سنة2008/2007 ص:05

[2]– مطاع الصفدي، تجديد النهضة(إكتشاف الذات ونقدها)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992، ص: 88

[3]

[4]– محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة، سلسلة أطروحات الدكتوراه، م.د.و.ع. ط1، بيروت،2002، ص:25

المجتمعات العربية ذلك أن الصحراء تمثل أكثر من 90% من المساحة الكلية، وهو مزيج من العرب الفاتحين والبربر كسكان أصليين هذا الامتزاج كان نتيجة التشابه في العادات والتقاليد ونمط العيش والتقبّل الطوعي لتعاليم الدين الإسلامي من طرف البربر، وهذا ما أشار إليه الباحث "ألفريدبل" في قوله: " **إن البدو العرب والبدو البربر يتشابهون في الأخلاق وفي نوع الحياة وكلاهما في نفس المستوى الثقافي ولا يفصل بينهما الدين، فإنه لا شيء وقف في سبيل الامتزاج العنصري بينهما، أو على الأقل الوجود معا في القبيلة بين بطون عربية وبطون بربرية** "[1] العصبية القبلية تعتبر أحد أهم عوامل التنافس والصراع الداخلي في البيئات الريفية وفي بعض القرى والمدن وتعتبر كذلك خلفية لبعض السلوكيات داخل المؤسسات الاجتماعية الرسمية وفي الفضاءات العمومية كالأسواق والملاعب والمقاهي كتعبير عن الأصالة بإحياء التراث الثقافي التقليدي القبلي وما يميزه من رموز وتفاعلات، وقد ظهر في الآونة الأخيرة وخاصة في بعض المناسبات كالانتخابات تداول بعض الشعارات والرموز القبلية وتوظيف الروابط القرابية والحس القبلي في التعامل الرسمي وغير الرسمي واعتبار العرش كمعيار تصنيفي للمواطنين، والملاحظ أن فترة الانتخابات يتضاعف فيها التوتر وتطغى النبرة العرشية وتبرز فيها التحالفات السياسية القبلية " **يلعب سلوك التقليد داخل المجتمعات التي تطغى فيها الجماعة على الفرد دورا هاما في جميع مستويات النشاط الاجتماعي وبالأخص على المستوى السياسي، ويعمل هذا السلوك كحافز لتحويل أنظمة التحالفات التقليدية إلى منظمات سياسية عصرية**"[2] ومن هذا المنطلق سنتساءل عن واقع وفعالية العرشية (العصبية القبلية) في مجتمعنا... وعن الكيفية والآليات والأساليب المتبعة في إحياءها ... وعما إذا كان العرش يمثل مصدرا للسلطة السياسية في مجتمعنا المعاصر، سنعتمد في بحثنا على الخصائص الاجتماعية والجغرافية وما تفرزه من ثقافة لنتمكن من معرفة ما إذا كانت هذه الظاهرة ستؤول في مجتمعنا إلى الانقطاع أو ستستمر.

01- الإشكالية:

تُعد الانتخابات وما ينجر عنها من مؤسسات نموذج سياسي غربي يهدف لاختيار ممثلين عن الشعب لتكريس حكمه ولوصول أفراد المجتمع إلى ممارسة السلطة بطريقة ديمقراطية، تبنته الحكومات العربية وأنشأت من أجل تطبيقه مؤسسات وأحزاب سياسية وسنّت قوانين ودساتير ومبادئ من أهمّها (الديمقراطية والاختيار الحر) ونظرا لما يتميز به مجتمعنا من خصوصيات اجتماعية وثقافية ودينية قد تتنافى وتطبيق النموذج الغربي وبالتالي قد لا تتحقق شروط إجراء انتخابات ذات طابع ديمقراطي يكرس الحرية الفردية في مجتمع بطريقي أبوي ليس للفرد فيه رأي خاص إلا في إطار الجماعة التي ينتمي إليها ويقدسها ويعيش داخل منظومة من العلاقات والرموز التي يشكلها العرش، وبذلك سنتساءل عن دور الممارسات العرشية في العملية السياسية ومدى تأثيرها على إنتاج المؤسسات الانتخابية بصياغة السؤال التالي:

---

[1] – ألفريد بل، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا، ترجمة عبدالرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981، ص:311

[2] – جون واتربوري، أمير المؤمنين (الملكية والنخبة السياسية المغربية)،ترجمة عبد الغني أبو العزم وآخرون، مؤسسة الغني للنشر، ط3، الرباط ،2013،ص:126

ما مدى تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية على إنتاج المؤسسات الانتخابية؟

02_ الفرضيات:

من المؤكد أنّ الأحداث التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري قد أثرت كثيرا في بنيته حيث ضعف دور القبيلة (العرش) في تسيير المجتمع من خلال هدم هياكلها فلم يبقى لشيخ القبيلة أو العشيرة وزنه المعهود ولا لبيت العرش ولا القوانين العرفية المرتبطة بالقبيلة وسلطتها السياسية، ومن الملاحظ أن القبيلة بعد الاستقلال قد تقلصت سلطتها بعد انصهار المجتمع الجزائري بجميع مكوناته في بوتقة الثورة التحريرية التي تحدت كل الانقسامات ووحدت جميع الجزائريين، وبعد الاستقلال تشكلت هياكل الدولة ومؤسساتها العمومية الخاضعة لقوانين الجمهورية ولم يبقى للقبيلة وجود مادي هيكليا وتنظيميا، ولكنها بقيت موجودة في ثقافة الأفراد وتطبع بعض الممارسات في تفاعلهم اليومي، وتختفي أحيانا ثم تظهر بشكل جلي في بعض المناسبات والأحداث.

إنّ المنظومة التربوية والإعلامية الرسمية لها دور فاعل في تنشئة الأفراد وتكوين شخصيتهم، لكنّها لم تولي الاهتمام الكافي بترسيخ الوعي ببعض القيم والثوابت الوطنية كقيم المجتمع المدني والمرجعية الدينية والثورية والوطنية، مما فسح المجال أمام توظيف المعطى القبلي في الحياة الاجتماعية والسياسية وتفشي بعض الأفكار وبعض الممارسات منها التعامل بمعيار القرابة والجهوية على حساب القانون في المؤسسات الرسمية للدولة يقول د.عدي الهواري بهذا الصدد "**من جهة يتطلع الفاعلون إلى تشكيل أمة مدارة من دولة القانون، ومن جهة أخرى يتعلقون بتنشئة ذات محتوى سلالي**"[1] فينشا الفرد في إطار(العرشية) حيث يكون له في كل مؤسسة أو فضاء عضو فاعل ينتمي إلى العرش أو المنطقة ملتزم بخدمة أقاربه أو أبناء منطقته قبل الآخرين ولو على حساب القانون ويسخّر إمكانيات المؤسسة لصالحهم وبالتالي يحقق أهداف العرش ويلتزم بتطبيق توصياته في العلاقات الرسمية وغير الرسمية في حياته اليومية ويصف د.عدي الهواري المجتمع الجزائري" **كمجموعة سياسية من الجماعات العائلية مترابطة بالتضامن الميكانيكي حسب مفهوم دوركهايم...إنّ الجزائر يعاد انتاجها كمجموعة وطنية من الجماعات العائلية متلاحمة بالمخيال الجينالوجي**"[2] ورغم عوامل التغير التي تعرّض لها المجتمع الجزائري لم تفقد ثقافته التقليدية سيطرتها يرى سليمان مظهر أنّ " **الثقافة التقليدية الجزائرية تتميز بقدرة كبيرة على مقاومة التيارات الثقافات الوافدة على المجتمع الجزائري، حيث ابتلعت القيم الإسلامية وقولبتها حسب مزاجها ثم تصدت للاستعمار، ورفضت الاشتراكية ثم اقتصاد السوق وأخير هزمت الديمقراطية**"[3] ويتم تقوية الروابط القرابية والقبلية خاصة بحلول بعض المناسبات الاجتماعية والسياسية (الانتخابات)، ومن هذا الواقع نخلص إلى فرضيتين أساسيتين.

الفرضية الأولى:الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية تجعل الممارسة السياسية داخل الأحزاب والمؤسسات الرسمية تخضع للسلطة القبلية.

---

[1]- Addi la houari، Les mutations de la Société algérienne, Ed La Découverte, Paris,199,p30

[2]- أنظر بن يوب محمد، مرجع سابق، ص:06

[3]- Medher Slimane, L'échec Des Systèmes politique en Algérie – ed chehab – Alger- 1999.

الفرضية الثانية: الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية توظف العصبية القبلية والجهوية في مجريات العملية الانتخابية لتثبيت تحكّمها واستمرارها.

03- منهج الدراسة:

موضوع الممارسات العرشية متشعب وخاصة عند تحليل جانبه التربوي وعلاقته بالسياسي، فتطبيق منهج واحد في هذه الدراسة يعجز عن الإحاطة بجميع جوانبه، لذا تمت الاستعانة بعدّة مناهج، منها المنهج التاريخي لتحليل الدراسات السابقة الملامسة لموضوع البحث والاستفادة من الوقائع والمراحل التاريخية ولتتبع تجليات الظاهرة وكشف مظاهر التغيّر والرتابة في بنى المجتمع وعناصر ثقافته، ولفهم ومعرفة الواقع وتفسير الملاحظات الراهنة انطلاقا من قاعدة الحاضر سليل الماضي، كما أن دراسة الواقع الاجتماعي ورصد تجليات الظاهرة تستدعي استخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى بناء صورة تمثيلية لواقع الظاهرة من أجل إعطائها التفسير الصحيح، فهو أساسي ومناسب لهذه الدراسة حيث يقوم" **بدراسة الحقائق الوصفية الراهنة المتعلقة بطبيعة الظاهرة الاجتماعية أو موقف أو جماعة من الناس والأحداث**"[1]، كما أننا وظفنا المنهج السوسيو الأنثروبولوجي بالاعتماد على الملاحظة والمعايشة ومعرفة أصول الفئات المشكلة للكل الاجتماعي وعلاقاتها فيما بينها وتأثرها بالثقافة التقليدية ومعرفة كيفية إعادة إنتاجها وتحليل السلوكيات والممارسات واستخلاص دلالاتها السوسيولوجية، ويمكن استخدام المنهجية الاثنية لفهم وضعية هذه الجماعات وعلاقاتها في إطار تباين انتماءاتها وأصولها والأهداف والاستراتيجيات، كما استخدمنا المنهج الوظيفي الذي يمكّننا من معرفة وظيفة الظاهرة المدروسة وتحديد دورها وتتبع الممارسات الثقافية الاجتماعية وما تمليه من قيم ومبادئ ورموز، قد تؤثر في مواقف وسلوكيات الأفراد ووعيهم السياسي، فالخلفيات الذهنية والموروثات الاجتماعية الثقافية لها وظيفتها وأثرها العميق في الأوساط الاجتماعية فهي تجري مجرى الدم في العروق، وبالتالي فاستخدام منهج واحد لا يمكّن من الإلمام بالموضوع لهذا يجب الاستعانة بعدّة مناهج متكاملة، يشير إحسان محمد الحسن في كتابه (أسس البحث العلمي) إلى وجوب" **استعمال أكثر من طريقة منهجية للحصول على المعلومات والحقائق المطلوبة في البحث العلمي**"[2]

إنّ دراسة موضوع الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية كظاهرة تمس جميع مناحي الحياة، تتطلب منّا توظيف عدّة مقاربات، فبدءا بالمقاربة الخلدونية التي تتمحور حول العصبية كمكوّن أساسي في الطبيعة البشرية ودورها في الحياة الاجتماعية والسياسية لاعتبار هذه المقاربة من أعرق وأشمل الدراسات التي أجريت على منطقة المغرب العربي التي مازال الباحثون الاجتماعيون حتى اليوم ينهلون منها، فقد قدّمت لنا قاعدة نظرية ومنهج علمي ميداني لا يمكن لأي باحث تجاوزه، إنّ اعتماد المقاربات السوسيولوجية الحديثة التي تستخدم النظريات الحديثة ضروري فهم أبعاد الظاهرة وتأثيرها وتأثّرها بالبيئة المحيطة واستخدام تقنيات علمية كالملاحظة والمقابلة والمسوح وتحليل المضمون، فلكون الظاهرة العروش والعروشية تمس البناء والتنظيم الاجتماعي فلابد

---

[1]- عبدالباقي زيدان، قواعد البحث الاجتماعي، الهيئة العامة للكتاب،القاهرة، 1974،ص:34

[2]- محمد إحسان حسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ط2،1986، ص:17

من توظيف نظريات البنائية الوظيفية وما تقدمه من قواعد لتحليل جسد المجتمع كعضوية مشكلة من أجهزة وظيفية متساندة، "**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد الحمى والسهر**"[1]، وما دام المجتمع القبلي يمثل حقل للتنافس بين المجموعات القبلية وفضاء لإثبات الذات الفردية والجماعية، فإنه يتحتم علينا توظيف نظريات الصراع وما تقدمه من مبادئ وأساليب في تحليل وفهم الواقع الاجتماعي، ومن جهة أخرى فإن التفاعل اليومي والممارسات المتنوعة ما هي إلاّ رموز لذلك سنعتمد على نظريات التفاعلية الرمزية في الكشف عن الرموز أو الأفعال وما ترمي إليه، وانعكاسها على تنشئة الأفراد بشكل مباشر وغير مباشر في الفضاءات المختلفة وخاصة أثناء المناسبات المرتبطة بالقبيلة كالزورة والوعدة ومجالس الصلح والحفلات والولائم.

استخدمنا في بحثنا أدوات منهجية متنوعة للإحاطة بالموضوع منها تقنية الملاحظة بالمشاركة التي كانت أداة الكشف عن الظاهرة المدروسة وأساس البحث الاستطلاعي لكوننا أحد أعضاء المجتمع المدروس ومعايشتنا له واندماجنا فيه، وسنستعين بأداة ثانية وهي تحليل المضمون اعتمادا على القوائم الانتخابية وتحليل نتائج الانتخابات، كما نستخدم تقنية المقابلة حيث نستعمل هذه التقنية لرصد مختلف التبريرات والمواقف حول موضوع العروشية في مجتمع البحث، لأن هذا النوع من الأدوات يفسح المجال أمام المبحوث لإبداء رأيه وموقفه ويكشف عن مشاعره ورغباته بكل حرية وفي نفس الوقت نتحكم بطريقة ذكية في توجيه الحوار نحو نقاط محددة وهو ما يساعدنا على رصد الحقائق وخلفيات السلوك.

04- المفاهيم الأساسية:

أ)- المفهوم الإجرائي للممارسات الاجتماعية:

هي كل الأفعال والأنشطة ذات الطابع الاجتماعي وتتمثل في العلاقات الاجتماعية من زواج ومصاهرة وتعاون وتضامن ومناصرة وتزاور وتبادل منافع في ميادين المتعلقة بالمعيشة والحياة اليومية، هذه الأفعال منطلقة من قناعات مستندة إلى وعي واعتقاد جماعي بالوحدة القبلية والمصير المشترك وتحديد الحقوق والواجبات من منطلق سواد الجماعة على الفرد والمصلحة الجماعية عن الفردي

ب)- المفهوم الإجرائي للممارسات الثقافية:

هي كل النشاطات ذات الطابع الثقافي من رموز وسلوكيات (أقوال وأفعال) يقوم بها الأفراد تعبيرا عن مكنونات حسية وإبرازا لشخصية متميزة وأسلوب حياة معيّن وإعادة إنتاج لمنظومة من العادات والتقاليد والقيم والمعايير المتفق عليها، ونماذج التفاعل اليومي وأنماط المعيشة والعلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات، و من أمثلتها ما يحدث في المناسبات العائلية والأسواق الأسبوعية المهرجانات الشعبية التي تقام محليا كل سنة وما يحدث فيها من نشاطات فولكلورية وفكرية وترفيهية ذات تعبير رمزي على كيانات اجتماعية وعن أحداث أو وقائع تاريخية، كما تظهر من خلال الإنتاج الأدبي كالشعر والقصة والرواية الشعبية وما تحمل من أفكار

[1]- حديث شريف، أخرجه البخاري(6011)، ومسلم (2586).

ومواقف أمثال وحكم تشكل في مجموعها ذاكرة جماعية ومخيال جماعي وصور ذهنية موحدة ورأسمال رمزي يقتدى بها تساهم في التوعية وتوجيه المجتمع بتكويناته المتعددة.

ج) المفهوم الإجرائي للممارسات العرشية (القبليّة): وتعني القبليّة (tribalism)، وهي ظاهرة اجتماعية تتجلى في بعض الممارسات الاجتماعية والثقافية المتعلقة بالقبيلة، وقد تسمّى عصبية أو فئوية ومن مظاهرها التفاخر بالنسب وجعله معيارا للتفاضل بين الأفراد والجماعات، وإخضاع التفاعل الحاصل بين أفراد المجتمع لاعتبارات قبليّة (عروشية)، وتسمى بالتعصب القبلي الذي يجبر الأفراد المنتمين إلى القبيلة على نصرة بعضهم بعضا ضد الجماعات الأخرى من منطلق تصنيفي (نحن/هم) فكل فرد له اعتقاد راسخ بأنه سيجد العون والمساعدة من بني قبيلته، ولاستمرار هذا النسق يفرض على أعضاء القبيلة تبعات وواجبات مشتركة فكل واحد منهم يشعر أنّه مسؤول عن جماعته ويقابله شعور متبادل من القبيلة كلّها، وتنشأ لدى الأفراد عواطف تجمعهم بسبب اعتقادهم بالنسب المشترك بينهم لانحدارهم من نسل رجل يسمّى جدّ القبيلة أو العشيرة، فيوظف الفرد كل طاقاته وإمكاناته حتى الرسمية منها لفائدة أبناء قبيلته، فيتعصّب الفرد لأبناء قبيلته سواء كانوا ظالمين أو مظلومين ضدّ كلّ من هو خارج القبيلة ويحجب هذه المساعدة والنصرة عن الغريب

د) – المفهوم الإجرائي للمؤسسات الانتخابية:

هي هيئات رسمية حديثة تابعة للدولة على المستوى البلدي والولائي والوطني، مشكلة من أفراد من المجتمع تم انتخابهم في اقتراع رسمي مكونين لمجالس تمثل المجتمع في الأوساط الرسمية، وتمثل هذه المجالس والإدارة التابعة لها جهازا تشريعيا يسن القوانين رقابيا يحرص على سير المشاريع التنموية وتطبيق القوانين التنظيمية بشكل يحدد الحقوق والواجبات ويضمن الرقي والرفاهية للمجتمع، وانتماء أعضاء المجالس المنتخبة سواء في عهد الحزب الواحد أو عهد التعددية غالبا ما يكون لجمعية سياسية لديها برنامج ومناضلين حيث ينتمي العضو للقائمة الانتخابية، ومن أمثلتها المجالس المحلية والوطنية، والنقابات والجمعيات ومجالس الإدارة وللجان.

05- المقاربات النظرية:

5.أ)- القبيلة (العرش) عند ابن خلدون: يعتبر العلامة ابن خلدون[1] من أوائل الباحثين في موضوع القبيلة وقد ربطه بظاهرة العصبية فقد كان له السّبق في التطرّق إلى القبيلة و نسق القرابة ومعالجته لظاهرة العصبية ضمن دراسته المتعلقة بالتاريخ والعمران البشري، " فوضع بذور نظرية متكاملة نقلها عنه المستشرقون وخاصة "روبرتسون سميث" لكي تنقل بعد ذلك إلى علماء الانثروبولوجيا البريطانيين وخاصة "إيفانز بريتشارد"[2] ولقد أدرك أهمية القرابة في قيام العصبية المؤدية إلى الملك وقيام الدول ومراتبها. والعمران عنده يعني مجموع مركبات البنيات التحتية والفوقية للمجتمع "ومن العمران ما يكون بدويا، وهو الذي يكون

[1] – هو أبو زيد عبدالرحمان ابن خلدون ولد بتونس سنة 1332م نشأ في بيت علم ورياسة، فقد شغل أجداده في تونس والأندلس مناصب مهمة ، حفظ القرءان وتعلم العلم منذ صباه،عمل في مجال السياسة لدى البلاط في تونس وفاس والأندلس وبجاية ولديه عدة مؤلفات في الدين والسياسة والأدب والفلسفة منها مقدمته المشهورة التي ألفها في خلوته بقلعة بني سلامة وأنجز (كتابه العبر) الذي يضم علما جديدا هو علم العمران البشري ثم ارتحل إلى تونس ومنها إلى مصر في الثانية والخمسين من عمره واستقر فيها حيث تولى عدة مناصب كالقضاء والتدريس حتى وفاه الأجل .

[2] الفضيل رتيمي، القرابة والعمل في المؤسسة الصناعية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع،1992 -1993 ،ص:15

في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكو ن حضريا وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتحصين بجدرانها"[1].

وقد قلّل العلامة ابن خلدون من شأن العصبية القبلية في المدن باعتبارها وسيلة دفاع. وأكّد ضرورتها في البوادي في قوله: " ذلك لأنّ الحضر وكّلوا أمر حمايتهم للوالي أو جند السلطان وهذا جعلهم يركنون إلى الدّعة بينما ليس لدى البدو حامية تحرس الحمى ولذا صار أمر الحراسة والمدافعة لهم بأنفسهم أفرادا وجماعة، فتدرّبت أنفسهم على الحميّة (العصبية)"[2]، فقد استخدم العلامة عدة مفاهيم ومصطلحات في علم العمران البشري سنشير إلى بعض منها في بحثنا منها مفهوم العصبية وعلاقتها بنشأة الدولة وسقوطها.

5.أ.1)- مفهوم العصبيّة عند ابن خلدون: يمثل مصطلح العصبية نقطة مركزية في نظرة ابن خلدون للمجتمع وتكويناته السياسية لاعتبارها ضرورة إنسانية، فالعصبية في لسان العرب هي رابطة دموية وتلاحم بين الأرحام وتناصر، وعصبة الرجل بنوه ... والتعصب المحامات والمدافعة[3] تمثّل العصبيّة عند ابن خلدون رابطة معنوية قائمة على "لحمة الدم" و"الروح العشائرية" بين أبناء القبيلة. " إذ نعرة كل واحد على نسبه وعصبيته أهم وأنّ الشفعة والنعرة على ذوي الأرحام والقربى موجودة في طبائع البشر، وبها يكون التعاضد والتفاخر."[4] ويرى العلامة ابن خلدون أنّ "علاقات القرابة والتحالف الموجودة بين أعضاء القبيلة الواحدة تؤدي إلى إقامة الفوارق بين المجموعات القبليّة، التي كثيرا ما تتسبّب في عمليات التنافس الحاد والصراع على الموارد ومصادر العيش، وهذا ما يدفع إلى إضفاء طابع الصّراع الدائم والمستمر على المجتمع القبلي"[5]، وقد سمّاها العصبية أي التعصّب لذوي القربى والتحالف والتضامن بين أبناء القبيلة المنتمون إلى سلف واحد والمتلازمون في السّراء والضّراء والجاهزون في كل وقت لنصرة بعضهم ولو على الظّلم، ومن هنا تسمّى بالقبليّة أي الدّعوة للعصبية القبليّة، كما أشار إلى أن العصبية تتلاشى في البيئة الحضرية وتقوى في البيئة البدوية.

5 .أ.2)- العصبية والدولة عند ابن خلدون: أقرّ ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني أمر محتوم فرضته الطبيعة والعدوان الذي جبلت عليه النفس البشرية أمر محتوم كذلك، إذا فلا بد للناس من وازع يدفع بعضهم عن بعض وهذا الأخير لا يتكون إلا بوجود عصبية تدعمه، فشيخ العشيرة يفرض على أعضائها الامتثال وكلما قوت عصبيته الخاصة زاد تحكمه وزادت غلبته على من هم مثله والدولة تنشأ من اندماج مجموع القبائل تحت عصبية واحدة كبرى وعامة والملك إنما يكون لمن له القوة والغلبة، فالعصبية غايتها الملك ويشترط في من يسعى إليه الخلال الحميدة والحسب[6]، والدول عنده صنفان: الخلافة التي لا تخلو من

---

[1] عبدالغني مغربي ، الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون ، دار القصبة للنشر ،الجزائر ، 2006،ص:127

[2] عبدالله الغذامي، مرجع سابق ص:154

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج2 ،ص ص 792.791

[4] عبدالرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج1، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، 1971 ،ص:43

[5] محمد نجيب بوطالب ، مرجع سابق ،ص:56

[6] بوزياني الدراجي، العصبية القبلية في ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، الجزائر،2003، ص:38

العصبية ولكن السيادة فيها للشرع والملك الذي لا يخلو من الشرع ولكن السيادة فيه للعصبية، ومنشأ الصنفين معا الحاجة إلى الوازع الذي يحول دون تقاتل الناس، ولكن هذا الوازع يكون في دولة الشرع ذاتيا أي اقناعيا، بينما يضل في دولة العصبية خارجيا أي قهريا[1]، ولا تتوقف العصبية على تحقيق الملك بل تسعى لتقويته وإطالة عمره ويمكنها أن تكون سببا في سلبه حينما تتغلب عصبية منافسة أو تكون سببا في فقده عندما تضعف تزول العصبية ينغمس أهلها في الترف وطرارة العيش" وعلى قدر نعمتهم يكون إشرافهم على الفناء فضلا عن الملك"[2]

5. ب)- القبيلة (العرش)عند رواد النظرية الانقسامية:

إنّ جذور النظرية الانقسامية تعود إلى أعمال عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم E.durkhaim حول التقسيم الاجتماعي للعمل والذي "استخدم لأول مرّة مفهوم (الانقسامية Sègmentaritè) للدلالة على المجتمع الانقسامي ذي التضامن الآلي الذي يقوم على مبدأ التشابه بين كيانات مستقلة قائمة بذاتها(...)واعتبر رواد المقاربة الانقسامية أنّ للقبائل العربية الخصائص ذاتها التي تميز المجتمعات الانقسامية، فالقبائل تنطوي على هرمية متدرجة بحسب الحجم والقوة وهي تنظيمات تشخص في دوائر متفاوتة الأحجام أو في أشجار متكاثرة الفروع.

يقوم التوازن الاجتماعي في المجتمع الانقسامي على مبدأي: الانصهار والانشطار حيث تظهر الأولى في حالات الخطر وفقدان الأمن فيسود التضامن والتوحّد لمواجهة التهديدات الخارجية، وتظهر الثانية في حالات السلم والهدوء حينما يدبّ الصراع بين الفروع القبلية والقسمات المتجاورة(...) لقد وجد أتباع هذا المنهج في المثل العربي: (أنا ضدّ أخي، أنا وأخي ضدّ ابن عمّي، أنا وأخي وابن عمّي على الغريب) نموذجا لانتظام الأقسام القبليّة من الأعلى إلى الأسفل وللتوازنات القائمة بينها في ظلّ غياب سلطة مركزيّة رادعة، ويرى غيلنر E.Gellner أن "المجتمع الانقسامي المغربي يتميز بظاهرتين:الانقسامية وهي خاصية بنيوية والهامشية وهي خاصية مجالية تتصل بالموقع هذان المفهومان متكاملان"[3].

ركزت الانقسامية في تحليلاتها على العلاقات بين الوحدات الاجتماعية قبيلة أو عشيرة واعتبرتها خصوصية اجتماعية مغربية واعتمدت على المعطيات الميدانية ومعالجتها إحصائيا وبيانيا أكثر من اعتمادها على التنظيرات الايديولوجية، وجمعت بين التحليل البنيوي والوظيفي في آن واحد، وتقوم على مجموعة من الخصائص هي: - هيمنة النسب الأبوي على المجتمع.

- مبدأ الانشطار والانصهار.
- غياب التراتب الاجتماعي الدائم.
- بروز بعض الفاعلين بشكل استثنائي وقيامهم ببدور تحقيق التوازنات، مثل الصلحاء والأعيان، ولعب دور ضمان أمن الحدود.

---

[1] أنظر محمد خدابوي، مرجع سابق، ص:65

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق ، ج2، ص: 611

[3] محمد نجيب بو طالب، مرجع سابق، ص ص42. 43

لقد اهتم علماء الانثروبولوجيا بدراسة القبيلة باعتبارها تنظيمات ميّزت المجتمعات القديمة "الوحدات التي تكونت منها المجتمعات البدائية أمثال: إيفانز-بريتشارد(PRITCHARD-E-EVANS) تلميذ مالينوفسكي (MALINOWSKY) الذي عرف بدراسة قبائل النوير في جنوب السودان والذي أشار إلى دور الظروف الايكولوجية و المعاشية(البيئة والفلاحة والرعي) في تحديد أشكال العلاقات وأنواعها وحجم الفروع القبلية"[1] فالعشيرة عنده تتألف من عدد من البنيات تسمى بالبدنات الكبرىMaximal Line age وهي بدورها تتألف من بنيات أصغر كالعائلة والأسرة وكلّها تشترك في نسب أو عصابة واحدة، أمّا العلاقات بين مكوّنات النظام القبلي فتخضع لحالة السلم والحرب، ففي الحرب ضد الغير يسود الوفاق وتنسى الخلافات أمّا في السّلم فيعود مبدأ الانقسام والتعارض حول الحقوق والموارد.

5.ج) - القبيلة من وجهة نظر كولونيالية:

وتتمثل في مجموعة كبيرة من البحوث الاجتماعية والسوسيولوجية التي أنجزها ضباط وإداريون في المناطق التي كانت تحت سيطرتهم إبان الاستعمار، ومن الأعمال المعروفة ما قدمه بيرك(Berque) وسماه "علم الاجتماع الشمال إفريقي" معتمدا على أبحاث كل من هانوتو ولوتورنو وماسكراي ومونتاني، وتميزت هذه الدراسات برؤية استعمارية للمجتمعات محل الدراسة وهو ما جعلها توصف بالتحيز في تفسير الواقع الاجتماعي موافق لفرضيات وأطروحات استعمارية تخدم مصالحه وخاصة عند إظهارهم للتنوع الإثني والانقسام في المجتمع والتعارض بين السكان المستقرين والبدو الرحل، إذ أنّ فرضياتهم تعتبر أن السكان المستقرين يكونون أسهل انقيادا للمستعمر مثل مناطق القبائل والأوراس والمزاب (صنهاجة وكتامة ومصمودة) من البدو الرحّل الوافدون والمتسببون في تخلف المنطقة بهدف التفرقة بينهم.

ومن جهة أخرى أبرز وجود تحالفات يحكمها قانون الصف واللف التي حاول المستعمر تكريسها فتتحول هذه القبائل لديه إلى جمهوريات بربرية.[2] لمغازلة فئة قبلية دون أخرى من أجل تفكيك وحدة المجتمع، لم ترقى هذه الدراسات لمستوى الموضوعية لعدم تحررها من الذاتية والأفكار المسبقة "تناول دعاة هذه المدرسة ميدان الإثنو-أنثروبولوجيا وأعادوا من خلاله صياغة تاريخ اجتماعي ممسوخ لا يرتكز على أي أسس مادية واقعية، يتولد من هذه الأبحاث خليط من التحليلات والمعطيات المتناقضة مثل التعارض التاريخي بين العرب والبربر، وبين المستقرين والرحل وبين الإسلام(الشريعة) والعادات(الأعراف)، وبين بلاد المخزن والسيبة، وبين المدينة والبادية"[3]

---

[1] - محمد نجيب بوطالب، نفس المرجع ،ص 61.60.

[2] Robert Montagne ، Les Berbères et le makhzen dans le sud du Maroc(Casablanca، archives(9) collection ، Afrique orient، 1989، P :139

[3] - محمد المباركي، جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب ،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،1992،ص:114

06- الأبعاد التربوية للممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية:

يعيش الفرد كعنصر يؤثر في البيئة الاجتماعية التي يدخل في تركيبها وتتأثر شخصيته ومواقفه واتجاهاته بمكوناتها، على اعتبار أن التنشئة عملية مستمرة عن طريق التفاعل والتقليد بين أفرادها، حيث يتم إعادة إنتاج الممارسات التي كانت تحدث في المجتمع التقليدي وبالتالي إحياء العادات والتقاليد القديمة في العصر الحاضر حيث يمتثل الفرد لها ويتبناها كالتضامن والتعاون والزواج الداخلي والتعصب للعشيرة أو العرش والانقياد للجماعة، وإحياء المناسبات المتعلقة بحياة الفرد والعائلة وتنظيم المهرجانات السنوية المتعلقة بالعرش التي عادة ما تكون مرتبطة بتوقيت ومكان معين يلتزم الأفراد بها.

تتحول العادات بفعل ترسيخها عن طريق التنشئة الاجتماعية إلى قوانين تقليدية وطقوس تتطلب الانصياع والاحترام والخضوع لقداستها، كما أن من خصائص التربية في المجتمع التقليدي احترام الأجداد وتبجيلهم وتصديق كراماتهم وبالتالي يتم تأكيد الولاء والانتماء للقبيلة (العرش) والرضوخ والالتزام للجماعة القرابية، فينشأ الفرد متشربا ومتمثلا للقيم والمعايير الاجتماعية ومحاكيا لنماذج السلوك الكامنة في الممارسات الاجتماعية الثقافية ومحافظا على استمرارية النسق عن طريق التمسك بنمط المعيشة الرعوي والزراعي والمحافظة على السمات العامة كالأزياء والأكلات الشعبية والألعاب، حيث يعاد إنتاجها بنفس الصيغة وتتوارث عبر عشرات الأجيال وقد تنقل رمزيتها في شكل صور فنية معبرة يتم تداولها في المناسبات الاجتماعية والثقافية كالرقص والشعر والغناء والأمثال والحكم ، وبهذه الوسائل يعاد إنتاج المجتمع التقليدي بخصائصه الثقافية والسياسية المرتبطة بالقديم، في عصر المجتمع الحديث الذي لم يتحقق انتقاله للحداثة على غرار المجتمعات المعاصرة المتسمة بالديمقراطية وقد أشار إلى ذلك الباحث هشام شرابي في تحليله لأسباب تخلف المجتمع العربي بقوله" والنظام القائم في المجتمع العربي اليوم ليس نظاما تقليديا بالمعنى التراثي، كما أنه ليس معاصرا بالمعنى الحداثوي، بل هو خليط غير متمازج من القديم والحديث، من التراثي والمعاصر، نظام غريب يختلف عن أي نظام أخر"[1]، وهو ما يفسر دخول غالبية المجتمعات العربية في نفق العنف والاقتتال بسبب إحياء النعرات الطائفية والقبلية وهدمت المؤسسات والبيروقراطيات الحديثة، ومن هنا نستخلص الدور المهم لتنشئة الفرد في هذه المجتمعات وعجزه على تجاوز التناقض وفقدان هويته وتمسكه بنزعات تسلطية تعصبية تستند للقيم الأبوية والعلاقات ذات الطابع العرشي والطائفي والعرقي.

07- العرشية كثقافة سياسية في المجتمع الجزائري:

تعدّ الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية كالتضامن والتكافل والتلازم في الأوساط الاجتماعية المغلقة كالعائلات أو العشائر عوامل تسهم في تثبيت واستمرارية ظاهرة الممارسات العرشية، ففي هذه الأوساط التي تُشعر الفرد بغياب الدولة، قد تنبت العصبية القبلية في ذهنه وتنمو نتيجة اعتماد الفرد باستمرار على قرابته الفاعلين (من لديهم نفوذ في الدولة) كوساطة لتأمين حاجياته المختلفة (منصب شغل ، سكن اجتماعي، قرض

[1]- هشام شرابي، المجتمع الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،ط2، بيروت، 1993،ص:15

بنكي ...الخ) يقول د. حليم بركات في هذا الصدد" فيما تحتل الجماعات الوسطية بين الفرد والمجتمع ككل (القبيلة، الطائفة، الفئة، القرية، المجتمع المحلي،...الخ) مركزا مرموقا في حياة العرب الاجتماعية، فلا تستطيع المؤسسات العامة التي تمثل المجتمع (الدولة مثلا) أن تصل إلى الأفراد إلا من خلال هذه الجماعات التقليدية (...) بكلام آخر فيما تتوسط التنظيمات الحديثة المهنية في المجتمعات الصناعية بين الفرد والمجتمع متمثلا بمؤسساته العامة، نجد أنّ الجماعات التقليدية هي التي تتوسط بين الفرد والمجتمع، من هنا نظام الوساطة"[1]

والتعصب قد يكون نتيجة الشعور الفطري الذي يحمله الفرد تجاه قرابته وهي العاطفة والنعرة التي تدفع الفرد إلى نصرة ذويه سواء عند المطالبة أو الدفاع، هذه الرابطة دموية طبيعية كما يصفها العلامة ابن خلدون "وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر"[2]، لكن هذه الرابطة الدموية الطبيعية لا تلبث حتى تتحول إلى رابطة اجتماعية نتيجة امتداد النسب وتوسّعه عن طريق التحالفات والولاءات فالجهة أو الطائفة أو العرق أو المصلحة كلها تعبر عن الانتساب للعرش كإطار سياسي رمزي، فالقرابة تصبح اجتماعية أكثر منها دموية، وبذلك تتغلغل في نفسية كل فرد حيث يستحضر القبيلة(العرش) في شكل استجابات وردود أفعال شعورية ولاشعورية تعبر عن وجود الأنا الجماعي أو ما يسمى بالضمير الجمعي، وكلما زادت الممارسات الاجتماعية ذات الطابع القرابي والاعتمادية المتبادلة بين أبناء الجهة أو العرش، تزداد قوة الضمير الجمعي لدى الفرد في الواقع الاجتماعي وزاد وعيه بأهميتها، بسبب تضاعف حاجات الفرد وضرورة اعتماده على ذويه ومعارفهم ليتسنى له إشباعها، وبالتالي يتشكل مناخ عائلي حميمي قرابي في الحي أو القرية كصورة ثقافية تعكسها ممارسة العادات والتقاليد والقيم والمعايير التقليدية حيث يلتزم بها الجميع ويجلّونها ويتوارثونها جيل بعد جيل.

يعتبر نمط المعيشة المعتمد على الرعي والزراعة من بين أهم عناصر الثقافة الاجتماعية التقليدية المنتجة للوعي العصبي، لأنّها تفرض طابعا ثقافيا يميزه تمحور الشعور حول الولاء والانتماء للقبيلة، وجمع الجهود لتحقيق الاكتفاء والأمن الغذائي والاستعداد لتغطية العجز الاقتصادي للقبيلة عن طريق لزوم الجماعة والالتفاف حول شيوخها وطاعتهم في السلم والحرب، ونتيجة لعدم انتقال مجتمعنا إلى طور الصناعة والتصنيع بقى الفرد محافظا على نفس العلاقات القديمة المرتبطة بالقرية والريف أين تمارس نشاطات الرعي والزراعة وتسويق منتجاتهما، فيخضع الفرد لقيمها وعاداتها ويمتثل لقواعدها وأعرافها ويستثمر مواردها الأساسية ويحافظ على حقوقه ومنها حق استغلال الأرض العرشية، هذا النمط من العيش يفرض على الفرد التمسك بعصبيته ويجددها ويسير وفق منهج العروشية وما تملي عليه أعرافها وقيمها.

تأقلمت الممارسات العرشية مع التحديث الذي طال مجالات عديدة في الدولة، وذلك باحتلال القبيلة(العرش) للفضاءات المستحدثة في الإدارات والمؤسسات العمومية في شكل شبكة من التضامنيات القبلية كأطر وهياكل غير رسمية تتماشى مع التراتب الإداري عموديا من خلال المناصب التي يشغلها أبناء المنطقة أو العرش حيث تسخّر لخدمة مصالحهم الخاصة على عكس عامة المواطنين الذين تصطدم طلباتهم بشروط

[1]- أنظر محمد بن يوب، مرجع سابق، ص:379

[2]- عبدالرحمان ابن خلدون، المقدمة ،ج2، ص:594

قانونية يصعب تحقيقها، وتنتشر تلك الشبكة أفقيا في جميع القطاعات والمؤسسات العمومية، ولذلك فمن المسلم به في ثقافتنا المحلية أن القانون يختفي أمام شبكة التضامنيات القرابية العصبوية Les Solidarités et parentales et claniques وبالتالي هناك سياسة منتهجة لقبلنة الإدارة العمومية في الجزائر، ومن هذا المنطلق تسعى المجموعات العصبوية لتعميم ثقافة التنافس الخفي وتجنيد وتوظيف كل القوى من أجل كسب الرهانات الانتخابية واكتساح كل الفضاءات للظفر بالمناصب الحساسة في الدولة.

08- واقع الممارسة السياسية في الجزائر:

استطاعت المجتمعات الغربية أن تبني مؤسسات سياسية مستقرة تخضع لقوانين ومبادئ الديمقراطية حققت الاستقرار السياسي، مما جعل التنافس حقيقي حول نشاطات الأحزاب وبرامجها وإيديولوجياتها واستراتيجياتها لحل المشكلات وتحقيق رفاهية المجتمعات وتطورها وانصهرت مجتمعاتها في بوتقة العمل، عكس مجتمعات العالم الثالث التي استولت فيها شخصيات أو عائلات على المؤسسة السياسية وتحوّلت العملية السياسية والانتخابات فيها إلى ممارسة شكلية ولا يتم فيها التغيير إلا عن طريق القوّة والعنف وهيمنة المؤسسة العسكرية على العملية السياسية، فرغم أحداث الربيع العربي التي خلفت ملايين الضحايا والمشردين استمر الصراع على السلطة سنين عديدة ولم يتوقف العنف ولم تجد المجتمعات العربية بعد الطريق لحل أزماتها السياسية ولم تستطع التخلص من خلفيات الصراع المتمحور حول الشخصيات بدل التنافس الديمقراطي السلمي بين البرامج والأيديولوجيات، يرى الهواري عدي" أنّ السلطات القائمة في دول العالم الثالث، حتى وإن كانت تقع ضمن استمرارية القيم الأيديولوجية السائدة، بحاجة لممارسة الضغط كي تحافظ على نفسها وذلك بسبب الصراع الميكانيكي من أجل السلطة، وأقصد بهذا الأخير المنافسة التي خضع لها الأفراد، وذلك ليس لكي يقوموا بتغيير الأساسيات الأيديولوجية للسلطة القائمة، بل فقط من أجل تغيير الأفراد الحائزين لها، لأن الأبطال يعتقدون أنهم أكثر قدرة على تسيير الجماعة"[1]

ثقافة الزعامة في مجتمعات العالم الثالث ومنها المجتمع الجزائري منتشرة في ذهنية الفاعلين السياسيين، فكل رئيس حزب أو مجلس تتملّكه الزعامة والبطولة كشيخ قبيلة لا يخضع إلا لقانونه الخاص رغم وجود قوانين ودستور، واستنادا لواقع الممارسة السياسية تسعى الزمر أو الشخصيات السياسية لتدعيم مركزها والمحافظة على مكتسباتها كوسائط من خلال تقوية شبكة علاقاتها العمودية على مستوى القمة من جهة وكسب القاعدة الشعبية من خلال تفعيل الروابط القرابية والجهوية وتوظيفها في المناسبات الانتخابية من جهة أخرى، بدل العلاقات الأفقية المبنية على القدرات الفردية ومبدأ التداول على السلطة والعمل المؤسساتي واحترام القوانين وتكريس التكاملية والاعتماد المتبادل بين تنظيمات المجتمع المدني، وبذلك أصبحت العرشية من أبرز القوى التي يتشبث بها الفاعلون كوسيلة ناجعة في الممارسة السياسية غايتها الارتقاء السياسي في إطار مساندة النظام القائم، سواء في فترة الأحادية الحزبية أو فترة التعددية، بل زادت حدّتها بعد فترة المصالحة الوطنية حيث فُقدت الثقة من جدوى التغيير السياسي وساد العزوف عن المشاركة السياسية لغياب الإثارة والجدية، فكثير من المثقفين يمتنعون

[1]- الهوا ري عدي، لماذا فشلت الجزائر في الانتقال إلى الديمقراطية، جريدة الوقت، العدد12 فبراير 1994

عن المشاركة السياسية والتصويت، فنسبة المشاركة الانتخابية انخفضت في بعض المناسبات الانتخابية إلى أقل من 30% وتحوّلت الأحزاب السياسية التي تسمي نفسها معارضة إلى شركاء مساندون ليضمنوا قربهم من السلطة ويعطونها الشرعية، وعلى مستوى القاعدة يستغلون عامل العرشية والمال لكسب مقاعد في المجالس المنتخبة وبقائهم في جماعة النخبة السياسية.

09 – الممارسات العرشية كمحدد للسلوك الانتخابي:

يتطلب تطبيق الديمقراطية على النموذج الغربي القيام بعملية الانتخابات كسلوك حديث في الممارسة السياسية، وينشأ عن هذه العملية مؤسسات وطنية قيادية مشكلة من أعضاء يمثلون وينو بون عن مختلف فئات المجتمع، منتظمون في مجالس شعبية على مختلف المستويات الإدارية (البلدية ، الولا ئية ، الوطنية)، وهذه العملية تكرس مبدأ حكم الشعب لنفسه في إطار التنافس السلمي على السلطة، بالتالي إنتاج مؤسسات ذات طابع عمومي تتطلع لبناء دولة وطنية حديثة تستند قوانينها لمبدأ المساواة بين أفراد المجتمع وتحقق تكافؤ الفرص وحل المشكلات التي تعرقل تطور المجتمع عامة وتعيق تنميته لتعود الفائدة على جميع الفئات دون تمييز.

يُبرز تحليل الانتخابات من الجانب السوسيولوجي تزامن بعض الممارسات الاجتماعية مع الاستحقاقات الانتخابية وخاصة منها المحلية، حيث يتدخل الأعيان بمساعدة أصحاب النفوذ في الإدارة والهيئات الحزبية والسماسرة السياسيين لفرض أسماء معينة في القوائم الانتخابية كما تتزامن فترة الانتخابات مع الولائم التي يقيمها المرشحون للانتخابات ويدعون إليها ذويهم وحلفائهم لتجنيدهم وجمعهم على موقف واحد يوم التصويت، وهكذا تتم الصفقة والتعاقد بين المرشح وبني عمومته أو جهته مع تدخل الوسطاء والأعيان الذين يصوّتون عليه ولهم عليه أن يحقق حاجاتهم عند تقلده المنصب السياسي، وبالتالي تغيب الديمقراطية وتسود العروشية ويعلوا الولاء للقبيلة والعشيرة على حساب الولاء للحزب والدولة، يقول إبراهيم سعدي بهذا الصدد:" فعاطفة الصداقة وعاطفة الانتماء إلى الجهة الواحدة وعاطفة الاشتراك في الطائفة وعاطفة الرابطة الدموية وغيرها من العواطف التي من هذا القبيل تمارس مفعولها وتأثيرها وهيمنتها على السلوك العربي في مختلف الأصعدة الاجتماعية والسياسية ... وهو الأمر الذي يحول دون قيام مجتمع يسوده مبدأ المواطنة ويعلوا فيه القانون على الأشخاص"[1]، فهذا الواقع يجعل السلوك الانتخابي مرتبط بقناعات الأفراد واتجاهاتهم وعلاقتهم بالوسط الاجتماعي، ومتعلق بحاجاتهم ودوافعهم النفسية والاجتماعية.

---

[1] – أنظر محمد بن يوب ، مرجع سابق، ص: 356

معلومات شخصية

الاسم واللقب: عمر عبداللاوي

تاريخ ومكان الازدياد: 1965/12/20 بلدية الشارف ولاية الجلفة

الشهادة : ماجستير **التخصص:** علم الاجتماع التربوي الديني

التسجيل في الدكتوراه: السنة الرابعة **التخصص:** علم الاجتماع التربوي **الجامعة:** الجزائر2

الهاتف: 0559800726 **البريد الالكتروني:**Aboudjaber2001@Gmail.com

10- نتائج الدراسة:

توصّلنا من خلال دراستنا لظاهرة الممارسات العرشية في المجتمع الجزائري إلى أنّها ما زالت مستمرة ومؤثرة وتتجلى تمظهراتها خاصة في العلاقات الرسمية وغير الرسمية، منها اختراق العروشية لقوانين الإدارة في المؤسسات العمومية عن طريق مصطلح (المعريفة، لكتاف، بنيعميس)، كما أنها تطبع جوانب كثيرة من الحياة العامة .

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية وسيلة أساسية تعمل على إعادة إنتاج الظاهرة في مجتمع المدينة الحديث عن طريق استمرار بعض الممارسات الاجتماعية والثقافية التي يتميز بها المجتمع التقليدي الذي تحدث فيه التنشئة معتمدة على آليات وأساليب تقليدية منها الضبط والثواب والعقاب.

- الاعتمادية على القرابة التي تتوسع إلى أبناء العرش أو المنطقة في متطلبات الحياة، مما يجبر الفرد على التواصل والتضامن والتلازم والتجاور في السكن مع الأقارب مما ينتج تكتلات قرابية مغلقة وأحياء وقرى ومدن ذات طابع قبلي.

- أبوية الأسرة وقوة الضبط داخل الأسرة وفي الوسط الاجتماعي واستمرار التعامل بالعرف في كثير من القضايا وخاصة المتعلقة بالأسرة وشيوع الزواج الداخلي، والمشاركة في النشاطات الثقافية المتعلقة بالعرش التي تعظم جد العرش عن طريق إقامة الوعدة واستعمال رأسمالها الرمزي في تخليده والالتفاف حوله.

- عدم تطور نمط المعيشة المقتصر على الرعي والزراعة والتجارة المرتبطة بهما مما يسمح باستمرار العلاقات العرشية المضبوطة بالقوانين العرفية وضعف الملكية الخاصة والتصنيع وتمسّك الأفراد بالأراضي العروشية.

- تعرضت القبيلة هيكليا للتفكك لكنها في نفس الوقت أعيد زراعتها عن طريق قوانين الحالة المدنية في عهد الاستعمار حيث أبقت على العائلة ورموزها المتمثلة في اللقب العائلي، الشيء الذي جعل العائلة تنموا وتتطور إلى عشيرة لها ملكيتها المشاعة ومقرها أي البيت الكبيرة وسلطتها، وبعض تلك العائلات ساهمت فرنسا في ترقيتها ماديا بالعقارات والمناصب وسياسيا بإشراكها في الحكم واجتماعيا بإعطائها دور الوسيط بين الفرد والمجتمع.

- استمرار فعالية وقدرة السلطة الاجتماعية المذكورة المتمثلة في الأعيان (كبار العرش) على قيادة المجتمع والتحكم في مساراته وتوجهاته ومعالجة الأحداث المستجدة، هؤلاء ينتمون إلى العائلات العريقة ولديهم مكانة اجتماعية اكتسبوها من تجربتهم والتي تسمح لهم دائما بتصدر المشهد.

- تكيف السلطة الاجتماعية المذكورة مع سلطة الدولة الوطنية وقوانينها بتوسطها بين الدولة وأفراد المجتمع، ومع أن الدولة لا تعترف بهذه السلطة رسميا، لكنها تستعملها في جوانب مصيرية وبشكل غير رسمي، وفي نفس الوقت تشارك في السلطة عن طريق تعيين أبناء العرش في مناصب عالية وفي المجالس الشعبية المحلية والوطنية.

– تحققت صحة الفرضيات التي انطلقنا منها فالممارسات العرشية ظاهرة اجتماعية تستمد فعاليتها واستمراريتها من تواصل التنشئة الاجتماعية على القيم التقليدية داخل الأسرة وفي الفضاءات الاجتماعية، بعض هذه القيم يدعوا للعروشية المتمثلة في التعصب الذي يعطي الأولوية للقرابة والعرش والمنطقة دون المصلحة العامة للمجتمع، والولاء للعرش والمنطقة دون الولاء للدولة والوطن، ويستجيب للعرف التقليدي طوعا وللقانون الوطني كرها، هذه العروشية اخترقت المؤسسات الحديثة وميعت القوانين، فتكيفت مع الانتخابات التي تعبر عن الممارسة الحديثة للسلطة عن طريق مبادئ الديمقراطية فأفرغتها من محتواها وأفقدتها خواصها، فالظاهر في مجتمعنا انتخابات ديمقراطية والواقع تزكية عرشية للقوائم والمرشحين ومسار سياسي يخدم العرش والعروشية، وبالتالي انتقل تأثير الممارسات العرشية من المجال الاجتماعي والثقافي إلى المجال السياسي

الخاتمة:

سعينا في هذه الدراسة للكشف عن ظاهرة العرشية في الممارسات الاجتماعية الثقافية وانتقال تأثيرها إلى المجال السياسي، كثقافة فرعية تطبع التنشئة الاجتماعية وتقوم على اكتساب معارف وتبني مواقف وممارسة سلوكات تكرّس الانتماء والولاء للعرش على حساب المجتمع العام ومؤسسات الوطن وقوانينها وتستعمل التعصب الذي يلزم الفرد بخدمة القريب على حساب الآخر، وهذه الظاهرة منتشرة في كثير من دول العالم بجميع قاراته، ورغم الصدمات التي تعرضت لها القبلية في المجتمع العربي عبر التاريخ من مجيء الإسلام إلى دخول الاستعمال والثورة وإلى تكوين الدولة الوطنية الحديثة لم تتأثر القبيلة والقبلية كثيرا، بل عادت وانبعثت من جديد بسبب تخلي المجتمع عن الإسلام كنظام وعدم قدرة الدولة الوطنية على تحقيق الإصلاحات السياسية الكفيلة بتجسيدها في الواقع، من هنا طرحنا سؤال إشكاليتنا عن أهمية الممارسات العرشية في مجتمعنا وما مدى تأثيرها في الجانب السياسي المتمثل في الانتخابات، واعتمدنا على دراسات انثروبولوجية وسوسيولوجية سابقة، واهتدينا إلى فرضية إعادة إنتاج الممارسات العرشية عن طريق التنشئة الاجتماعية من خلال توارث الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية ذات الطابع القبلي، ولقد حاولنا جمع المعلومات المتعلقة بالقبيلة والقبليّة واستعملنا مناهج وتقنيات بحثية لمحاولة الإلمام بالموضوع، وظفنا عدّة مقاربات بدأ بمعالجة العلامة ابن خلدون للظاهرة الذي قام بتوظيف مصطلح العصبية القبلية وجعله محور أبحاثه في هذا المجال، كما حاول البحث الكولنيالي إثبات فرضية الانقسامية وتصوير مجتمع المغرب العربي في شكل قبائل متوحشة ومتناحرة لم تعرف بعد أي تنظيما دولاتي ليبرر تدخله الاستعماري، في حين أثبتت دراستنا تعاقب دول وإمارات عديدة قبل مجيء الاستعمار، وكانت القبيلة خلال كل المراحل التاريخية حاضرة ومؤثرة في بناء الدول وسقوطها ومقاومة الاستعمار وبناء الدولة الوطنية الحديثة، فلم يكن موضوع القبيلة والقبلية (العرش والعرشية) مرتبط بالمجتمعات القديمة لندرسه أنثروبولوجيا بل يمثل واقعا حاضر وله امتداد مستقبلي يتطلب دراسة سوسيولوجية، ولم ترتبط العروشية بالجانب السياسي فقط بل رُسّخت في شخصية الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية وطبعت سلوكاته وعلاقاته وشكّلت اتجاهاته ومواقفه السياسية، ولقد أثبتت هذه الدراسة أنّ هذه الممارسات العرشية أثرت بشكل مباشر وغير مباشر في تشكيل وإنتاج المؤسسات الانتخابية، وخلصنا من خلال تحليل المقابلات وإجابات

الاستبيان إلى أن الممارسات العرشية في تطور مستمرة تخترق القوانين والمؤسسات العمومية وتؤثر في بنيتها البشرية مادامت المنظومة التربوية والسياسية لم تتعرض لإصلاحات تجسد المجتمع المدني المنشود